خطبة: لماذ لاتنفع الموعظة ؟

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

سأل سائلٌ صاحبَه وهو يحاوره :

كم نستمع للمواعظ والخطب لكن منّا من لايتأثّر و لاينتفع بها ، ويبقى على حاله من الغفلات والانكباب على الدنيا والمعاصي ،

فقال له صاحبه : أما وقد ذكرت ذلك ، فلنستمع لكلام الله تعالى نستجلي منه جوابا لما تساءلت عنه ،،

وأول مايرشدنا اليه القران الكريم أنّ هذا الكتابَ العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه هو موعظةٌ من الله تعالى

كما قال جلّ وعلا " ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 57]،

وجعله ربّنا جلّ وعلا الله موعظة للمؤمنين بالله واليوم الآخر فهم الذين ينتفعون به لمايرجونه من ربهم ، ولما يترقّبونه من حسن الحزاء في الآخرة ، فقال سبحانه : ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة: 232].

ولهذا فإن في الاستجابة للموعظة خيرٌ كبير، وفي قبولها والانتفاع بها منجاة من عذاب الله؛ قال الله تعالى "…

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66)

وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67)

وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (68)

بل اعلم ياأخي أن الذي ينتفع من الذكرى هو صاحبُ العقلِ السديد والفكر الرشيد

كما قال جلّ وعلا " هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52 ابراهيم)

ثم واصل حديثَه لصاحبه قائلا :

واعلم ياأخي أن الذِّكرى إنما تنفع المؤمنين ، الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ، فقد قال ربّنا جلّ وعلا -: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: 55]، وقال سبحانه ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: 45]، وقال جلّ وعلا -: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾ [الأعلى: 10]،

وهكذا كانت حالُ النبّي صلى الله عليه وسلم وصحبِه الكرام رضي الله عنهم والصالحين في هذه الأمة ،،

لما نزل قولُ الله تعالى :( يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُم فَوْقَ صَوْتَ النّبِي ، ولا تّجْهّروا له بالقَوْلِ كجَهْرِ بَعْضكم لبَعْض ، أن تَحْبِطَ أعْمَالكُم وأنتُمْ لا تَشْعُرون ) سورة الحجرات ( آية 2 ) ،،،، أغلق ثابت بن قيس عليه داره يبكي ، وأرسل الرسول ُصلى الله عليه وسلم من يدعوه ، جاء ثابتٌ وسأله النبّي عن سبب غيابه ، فأجابه :( اني امرؤ جهيـر الصوت ، وقد كنت أرفع صوتي فوق صوتك يا رسـول اللـه ، واذن فقد حبط عملي ، وأنا من أهل النار ) فأجابه الرسـول -صلى اللـه عليه وسلم- :( انك لست منهم بل تعيش حميدا وتُقتل شهيدا ويُدخلك اللهُ الجنة) .

هدانا الله تعالى لما يحب ويرضى ، ووفقنا للبّر والتقوى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

ختم صاحبُنا حديثَه لصاحبه قائلا :

إعلم أنّ الموعظةَ ينعدم أثرُها او يضعف

بحسب انعدام الايمان او ضعفه ، قال تعالى " ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ (الروم ٥٣)

كما يضعف أثرُ الموعظةِ اذا قسى القلبُ لتراكم الآثام والمعاصي والغفلات ،

( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ )

الأعراف 179

ومن أراد أن ينتفع من المواعظ والذكرى

فليحسن الاستماع لها وليكن قلبُه حاضرا كما قال تعالى " ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد .."

أما من يستمع للموعظة وقلبه لاهٍ وغافل فلن ينتفع " اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2)

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ …….." (3)(الأنبياء)

ومن أسباب عدم الانتفاع بالموعظة أن السامع لها يظن أنها لاتعنيه " قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (136) إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137)(الشعراء)

والبعض يستنكف عن الموعظة لما يراه من احوال المؤمنين والمهتدين " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11) " (الاحقاف)

وفي الختام قال له صاحبه جعلنا الله وإياك ممن ينتفعون بالذكرى ويتعظون بالموعظة وأن يشرح صدورنا لمايحبه ويرضاه